



09 شعبان 1435 هـ ـ 07 / 06 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

يحاول شياطين العلمانية سحب الإسلام إلى ساحة مشكلاتهم المزمنة.. وحياتهم النكدة ثم يسألون الإسلام في سخرية ! وفي اتهام كأنه – والعياذ بالله – طفل معتوه، جامد، متخلف.. جاهل بكل ما حوله، يسألونه ليس ليعرفوا كيف يحل الإسلام مشكلات الحياة، وليس كيف هي طريقته في الحياة؟!! إنهم يقفزون فوق كل ذلك ويسألونه: هل هذا حلال أم حرام؟!

ومجرد الانجرار للرد على تساؤلاتهم هذه لهي إهانة إلى الإسلام، ينجر إليها الكثير من محبي الإسلام، يدافعون عنه.. بينما شياطين العلمانية تسخر منهم، ومن محدودية تصوراتهم، وتسخر من عجز الإسلام أمام هذه المشكلات !

ثم تنتهي المناظرة وكأن الإسلام عاجز حتى عن فهم مشكلات العلمانية، فضلاً عن أن يجد لها علاجاً.. ثم في النهاية يصبح مجرد فكرة، كباقي الأفكار ! لكنها فكرة بعيدة عن الحياة والواقع ! وبعيدة عن التلامس بواقع الناس الحالي، وعاجز عن إيجاد حلول لهم.. فكل ما يعرفه: حرام، حلال.. وعليه فلن يشغل أحد باله بأحكام حرام وحلال، وإن شغل باله فيبحث عن مخرج لحالته على طريقة بني إسرائيل !!

وإن الإسلام عندما يعالج المشكلات فإنه لا ينظر إلى (ظواهر وأعراض وآثار) تلك المشكلات.. إنما ينطلق نحو "الجذور" لا ينظر إلى الثمرة الخبيثة، ولا الأوراق المتهالكة.. إنما ينظر إلى الجذور الخبيثة، إنه لا يعالج مشكلات العلمانية.. إنما يقتلع هذه العلمانية من جذورها، ولا يسمح لها بالوجود: في الفكر والتصور، وفي المجتمع والمؤسسات، وفي الدولة ونظم الحكم.. ويقضي عليها هي تماماً؛ لأنه لا ينظر إلى المشكلات الظاهرة بمعزل عن حقيقة أسبابها الأصلية الأولية، ولا ينجر إلى عملية الإهلاك عن طريق حل مشكلات وظواهر لن تحل أبداً إلا باجتثاث هذه العلمانية كلها، فهي وحدة واحدة متكاملة تنتج مشكلاتها كوحدة واحدة..

وحل المشكلات – من وجهة نظر الإسلام – هو القضاء على كل منهج وفكرة وتصور يخالف منهج الإسلام، والقضاء على المناهج الوضعية البشرية، وتعبيد الناس أولاً لإله واحد لا شريك له.

وإن الإسلام عندما يقدم حلوله، فإنه لا يقدمها في صورة: ما حكم كذا، وكذا...؟! دون أن يكون هناك وحدة واحدة متكاملة لا تقبل التجزئة، ولا تقبل الشركة.. ويُنشأ منظومة حياتية متكاملة بدءاً من التصور عن: الله والكون والإنسان والحياة إلى أصغر صغيرة في حياتنا، ويربطها كلها بالتصور الإسلامي، ويجعل حياة المسلم كلها عبادة.. حتى نومته وشهوته وابتسامته وكلمته !

إن الإسلام لن ينجر للإجابة عن مشكلات العلمانية، بينما هو غائب عن الوجود والشهود.. لا وجود له في مؤسسات الدولة، ولا في أجهزتها، ولا في محاكمها، ولا في أسلوبها التربوي، والفني، والثقافي، والتعليمي، والأمني، والقانوني، والسياسي، والاقتصادي... إلخ بينما العلمانية – التي هي أقصى درجات الإلحاد – تسيطر على كل هذه المؤسسات وتتحكم في كل شيء.. إنه أولاً: يقضى على هذه العلمانية كلها، ويطهر الإنسان، والمجتمع، والدولة منها.. وثانياً: يعيد بناء الإنسان – برفق ووعي – والمجتمع، والدولة.. وفق التصور الإسلامي الكامل، ولا يسمح له بأي شريك من مناهج بشرية وضعية أن يكون لها وجود في واقعه، ذلك أن هذا الشِرك كالمسمار الذي يُلقى في مكينة ضخمة فيعطل عملها ! ولهذا كان اقتران الشرك – في القرآن الكريم – بحبوط العمل كله.

على أن العلمانية الخالصة.. لا تسأل الإسلام في شيء، وتمضي في طريقها في وحدة وتكامل وتجانس. ولا تشغل بالها بغيرها. وتحقق ما آمنت به أول مرة: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : 24] فيحدث لها التناسق، والاتساق، والتطابق بين المعتقد والسلوك.

وكذلك الإسلام.. لا يسأل العلمانية في شيء، ويعتبرها انحرافاً عن صراط الله المستقيم، وكل مشكلاتها وواقع حياتها، نابع ابتداء من اتباع الهوى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان: 43] وهو يمضي في طريقه في: ربانية وشمول وتوازن وواقعية وإيجابية ومثالية وتوحيد وثبات وتكامل وتجانس وعبودية لإله واحد لا شريك له، ويحقق ما آمن به أول مرة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: 172] ﴿ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف: 59] ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : 201] ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: 56] فيحدث للمسلم: الرضى والطمأنينة والسعادة، والتناسق، والاتساق، والوحدة، والتطابق بين المعتقد والسلوك.

إذن من الذي يجر الإسلام إلى مشكلات العلمانية؟

أولئك المناكيد، التعساء.. الذين يعيشون علمانية في الحكم والمؤسسات والتعليم والثقافة والفن، وقليل من الإسلام في المسجد والبيت وبعض المؤسسات الدعوية ! يعيشون في منطقة رمادية، متذبذبة، تقلد كالقرود علمانية أوروبا، وتحاول أن تُبقي على الإسلام كشعائر وطقوس واحتفالات، وتحاول السخرية وإحراج من يحاول أن يعيد الإسلام إلى مكانه الطبيعي والصحيح في الحكم والمؤسسات، وفي المجتمع ومكوناته، وفي الإنسان واعتقاده؛ ثم تروح تسأل أهل الإسلام عن مشكلاتهم النكدة، وحياتهم التعيسة !

* * *

مثال: التربية الجنسية

يدعو أحد قرود العلمانية – الذين يقلدون الغرب وهم صم بكم عمي – هيا بنا نقرر "التربية الجنسية بالمدارس" كما الغرب! ولأن الإعلام العلماني ببلادنا أبداً لم يتبن ويطرح قضية لعلاجها!! نعم هناك مشكلات جنسية كبيرة في مجتمعاتنا.. لكن الإعلام يتخذ من المشكلات والمعاناة "مادة تجارية" يصنع بها (شو "عرض" إعلامي ساخن مثير) يجذب به مزيداً من الجماهير والإعلانات من جانب ، ومن جانب آخر فإنه لا يقدم في النهاية حلاً أو يُبين طريقاً.. فالقضية – بالنسبة له – مجرد مادة ساخنة، يريد أن تظل ساخنة، فيذهب لأحد الطيبين من المسلمين.. ليسأله في مناظرة أو حوار عن "رأي الإسلام" وما الحلال والحرام.. ويعطونه مساحة ضيقة، ويشعلون الحوار بالتناقضات، والأسئلة الساخنة، ثم في النهاية.. لا شيء، لا الإسلام تحدث عن منهجه، ولا المشكلة حلّت، ولا عرف أحد أين نحن؟ وما هذا التيه والاضطراب والتعاسة التي تزداد يوماً بعد يوم ؟!!

التربية الجنسية في مدارس الغرب

التربية الجنسية هناك تُعلم الصبي والفتاة كيفا يمارسا علاقة جنسية خالية من الأمراض الجنسية، وبعيدة عن حمل غير مرغوب فيه، وتشرح لهم بالتفصيل كل ذلك.. ثم "تشجع" الصبي والفتاة على الانطلاق في حياتهم الجنسية خالية من كل قيود، حتى إلى الشذوذ.. لا حدود، لا عقبات، إباحية كاملة، ثم تهيأ الأجواء لتقضي على الحياء الفطري، فتشجعهم المدارس بعمل حفلات تعارف، وحفلات رقص، ومعسكرات خارجية، واختلاط في أمكان النوم والسكن، ثم يأتي النظام الاقتصادي فيشجعهم على الاستقلال عن الأسرة، التي لا يمكن أن تمنع فتاة من ممارسة الجنس مع صديقها سواء في بيت أبيها أو بيت صديقها، وإلا تدخلت المنظومة الأمنية لتحمي الفتاة من استبداد تلك الأسرة الرجعية ! ثم يأتي النظام القانوني في إباحة كل شيء، وعدم منع أي شيء، وعدم تحريم أي شيء في هذه العلاقة.. فتكون هذه التربية الجنسية جادة في طرحها، عملية في أسلوبها، متوافقة مع منهج الحياة الذي اختروه لأنفسهم.

* * *

التربية الإيمانية في مدراس الإسلام

التربية الإيمانية في مدارس الإسلام، تهذب العاطفة، والشهوة، ويهيأ كلاهما لحمل الرسالة، وتعلم الصبي والفتاة بأسلوب واضح عفيف أحكام الطهارة، والتكليف، وتضبط سلوكهم الإنساني والعاطفي.. في جو إيماني طاهر، يزكي الحياء والطهارة، ويكبح جماح الشر، ويقطع الطريق على الإفساد الأخلاقي، ويعلم الشاب والفتاة أحكام الزواج - قبيل الزواج - وحقوق الزوج والزوجة الجنسية والعاطفية والسلوكية، ويُنشأ لهم الواقع المناسب لذلك.. فتبلغ عنايته بالشباب مبلغاً عظيماً، ويشجعهم على الزواج من كل طريق، ويأخذهم إلى مواطن القيادة، وبناء الأسرة وهم في زهرة شبابهم، وها هو أسامة بن زيد يقود جيش النبي ﷺ ولم يتجاوز عمره السابعة عشر بجيش فيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم ويأتي النظام التعليمي والاقتصادي والسياسي ليؤهل الشاب أن لا يتجاوز سنه الحادية والعشرين إلا وهو متزوج،

وقادر على القيادة، والعمل، والاستقلال، وبناء الأسرة.. ويحيط كل ذلك بالتشريعات المناسبة لهذا التصور، ويحفظ الأسرة من كل طريق، حتى لا يتخللها عوامل الفشل أو الانهيار، من خلال التكافل الاجتماعي، والعدالة الاجتماعية الإسلامية... إلخ من منهج الإسلام في التربية، والأسرة، والعلاقة بين الرجل والمرأة، داخل نظامه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتربوي والتعليمي. ويجعل قوامة الرجل، وكرامة المرأة ميزانا الأسرة.. ويحفظ حقوق الجميع من خلال منهج : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك : 14]

* * *

عبث قرود العلمانية

يأتي المهزوم نفسياً فيرى في الغرب الاتساق، والتكامل، والتجانس في حياته.. وينظر في واقعه فيجد الكبت، والجهل، والانحراف.. فيقول: إذن الحل في التربية الجنسية بالمدارس كما الغرب !

تربية جنسية.. لأجل ماذا؟ أين هو الجنس الذي يمكن أن يمارسه، وبلادنا بها أعلى نسبة عنوسة في العالم، وربما في تاريخ البشرية، أكثر من ثلاثة عشر مليون عانس فوق سن الخامسة والثلاثين ! – في بلد واحد – ويقولون تربية جنسية! في دولة أخذت المركز الثالث في التعاسة حسب إحصائيات معهد غالوب!

تربية جنسية!! والنظام التعليمي من أكثر نظم التعليم انحطاطاً في العالم، وأقلها كفاءة وانتاجاً.

تربية جنسية، والشاب يخرج من الجامعة، وقد تجاوز سنه الخامسة أو السابعة والعشرين.. ومازال لا يعرف شيئاً عن الحياة، ويمد يده لأبيه، ولا يتملك أي خبرات!!

تربية جنسية، والشاب – وإن تخرج من الجامعة، وعمل صباح مساء – لا يملك أن يوفي تكاليف الزواج، ولا عشر معاشرها. بل ويبلغ الثلاثين من عمره، ومازال جالساً يندب حظه، ويبكي حاله !

وهكذا يشغلون الناس بالتربية الجنسية، ويخلطونها بالمشاكل الجنسية بعد الزواج.. فلا هو تزوج، ولا الواقع يُسهل له ممارسة الحرام، ولا يريد أن يمارس الحرام وهو يشعر بالذنب.. فلا الحلال ميسر، ولا الحرام استطاع أن يقنع نفسه أنه ليس بحرام، فيعش هكذا في حالة من الاضطراب والتذبذب.. ولا تتركه العلمانية أبداً فهي تشعل له الشهوة من كل طريق وفي كل لفظ بمناسبة وبغير مناسبة في كل وسائل الإعلام والاتصال ! فلا يقدر على الحلال ولا الحرام.. فتحدث حالة من التآكل الذاتي، والاضطراب النفسي.

هؤلاء المناكيد – قرود العلمانية – أعداء الإسلام وأعداء الإنسان – سواء من هم أدوات المحتل المباشرة، أو المنهزمون نفسياً، أو المخدوعون – لا هم قدموا العلمانية في وحدة واحدة متكاملة.. ولن يستطيعوا فالإسلام – إن شاء الله – لهم بالمرصاد. ولا هم تركوا الإسلام يقدم منهجه في وحدة واحدة متكاملة متجانسة تضمن – بإذن الله – سعادة الدنيا، والفوز في الآخرة.

ويظن بعض الطيبين أن الإسلام قادر على حل هذه المشكلات بطريقة التربية والحرام والحلال وحدها، دون أن يحكم أو يهيمن على كل نظم الحياة!! هذا التصور الساذج عن الإسلام: يحصر الإسلام في مجرد أخلاقيات لا تستطيع أن تحل أي مشكلات، وستظل المشكلات قائمة، وسيظل الناس في حالة من التيه.. حتى يكفروا بالعلمانية كلها، ويؤمنوا بالإسلام وحده بلا شريك.

والمسلمون – في حالة الاستضعاف – لابد وأن يسددوا ويقاربوا، ويعملوا على الخروج من حالة الاستضعاف إلى حالة التدافع، ومن التدافع إلى التمكين.. حتى يقتلعوا هذه العلمانية من جذورها ويعود الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، وتكون كلمة العلمانيين السفلى، وكلمة الله هي العليا.

إن مثالية الإسلام مقترنة بواقعيته.. إنه لا يشترط واقعاً ليعمل فيه، أو إنساناً ليتعاطى معه، إنما يأخذ الإنسان من حيث هو، وأين كان.. يأخذه من أسفل الدركات إلى أعلى الدرجات، ويتعامل مع الواقع حيث كان.. ويترقي به من وحلة الطين وظلماته إلى سعة الرسالة ونور الوحي، ولكنه يشترط كامل الاشتراط أن لا يكون له شريك من علمانية وضعية من أهواء البشر.

هذا هو الإسلام.. وهذه هي العلمانية، وقل: ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً ﴾ [الكهف: 29]

وتعساً للذي كان حاله: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ [النساء: 143]

* * *

روابط ذات صلة:

بحث: الإسلام.. العلمانية؛ ومنهج الحياة.

بحث: خطورة الفكر العلماني على بعث الإسلام من جديد.